

التفوق الدراسي
(الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)
الأستاذ : سحوان عطاء الله
جامعة زيان عاشور الجلفة - الجزائر

مقدمة:

يعتبر التفوق الدراسي ظاهرة تربوية أفرزها النسق التعليمي في إطار تفاعل طبيعي مع الأنساق الاجتماعية المختلفة هذه الفئة الاجتماعية التي يفرزها النسق التعليمي هي فئة الطلبة المتفوقون، ومن خلال الدراسات الاجتماعية والتربوية نجد أن هنالك جملة من العوامل التي تتضافر فيما بينها لكي تحقق ظاهرة التفوق الدراسي منها العوامل الداخلية (الصحة، الذكاء الموروث) والعوامل الخارجية (الأسرة، المدرسة، الوسط الاجتماعي) هذه العوامل حينما تتوفر كلها أو جلها لطالب المتمدرس فإنها ترشحه لأن يكون من فئة الطلبة المتفوقين.

أولاً: الأسباب الاجتماعية للتفوق المدرسي

1/ الأسرة

إن الخلفية الثقافية والاقتصادية والعلمية للأسرة لها تأثير واضح على التفوق الدراسي للأبناء، وهذا ما أشارت إليه كثير من الدراسات الاجتماعية. تبين الكثير من الدراسات على رأسها دراسة تيرمان (1925) أن الطلبة المتفوقين في الدراسة ينحدرون من أسر ذات مستوى اقتصادي واجتماعي فوق المتوسط، إضافة إلى ذلك فإن آباء الطلبة المتفوقين ذوي مستوى تعليمي مرتفع، كما أن آباء الطلبة المتفوقين يعملون في وظائف إدارية أو مهن متخصصة، وعلاوة على ذلك فالمناخ الثقافي الأسري أكثر استثارة عند أسر الطلبة المتفوقين (وجود مجلات، جهاز تلفزيون، مكتبة، جهاز إعلام آلي..)، كما أن آباء وأمهات الطلبة المتفوقين يمتلكون عادة القراءة والمطالعة في البيت، كما أن طبيعة العلاقات الأسرية عند أسر الطلبة المتفوقين قائمة على التشاور والتعاون والحوار والمناقشات العلمية الثرية¹.

إن المستوى الاقتصادي للأسرة له دور كبير في تنمية الاستعدادات العقلية للطلاب وتقويتها وحمايتها من الضياع فإ الأسرة ذات المستوى المادي المرتفع تستطيع أن توفر الوسائل التعليمية كالإعلام الآلي، المكتبة، المجالات العلمية والدروس الخصوصية

الأستاذ : سحوان عطاء الله

(دروس التقوية المدرسية)، كل هذا يري الطالب أن يرتقي في مدرج التفوق الدراسي بشكل واضح.

بينما الطالب الذي ينتمي إلى أسرة ذات مستوى اقتصادي منخفض فإنه يجد نفسه محروما من كل الوسائل التعليمية التي تنمي القدرات العقلية للطالب. والتي تنعكس على نتائج التمدرس.

"يشير تساكوان (1966) إلى أن متوسط معاملات ذكاء مجموعة من الأطفال ينتمون إلى أسر ذات مستوى اجتماعي اقتصادي، مرتفع يختلف بصورة دالة عن متوسط معاملات ذكاء مجموعة من الأطفال ينتمون إلى أسر ذات مستوى اجتماعي اقتصادي منخفض، وهذه النتائج منطقية إلى حد بعيد لأن الأسر التي تنعم بمستوى اقتصادي مرتفع أقدر على توفير المثيرات الحسية التي تحفز النشاط العقلي للطفل"² "وعليه يحظى المتفوقون بمستوى اقتصادي واجتماعي أعلى من المتوسط بوجه عام، ويعمل أبائهم في مهن راقية رفيعة، ويحتلون مراكز اقتصادية مرموقة، فهم يؤمنون لهم ما يكفل تنشيط ذكائهم باستمرار ويهيئون لأبنائهم الفرص المناسبة لاكتساب خبرات جديدة، ويؤكدون على أهمية التحصيل والإنتاج العلمي بطريقة مستقلة، ويقدمون لأبنائهم مثالا يحتذي به في التفوق العقلي"³، وهذا ما ينتج عنه مواقف متباينة حسب الثقافة التي يتشبع بها الطالب داخل أسرته، فهناك من تحفزه الظروف الاقتصادية المندھورة على التعويض عن طريق التحدي، وتحقيق نتائج دراسية جيدة، وهناك من الطلبة من توجهه إلى سوق العمل لتخفيف من المستوى الاقتصادي المنخفض وهذا ما ينعكس سلبا على وقت المراجعة والاستذكار وربما يؤدي إلى كثير من الحالات إلى التخلف المدرسي وهناك من ينقطع كليا عن الدراسة وهو ما يسمى بـ (التسرب المدرسي).

أما الأسرة ذات المستوى الاقتصادي المتوسط فإن التأثير الاجتماعي على التحصيل الدراسي (التفوق) لا يكون واضحا مما يتيح الأثر للعوامل الاجتماعية الأخرى أن تبرز. "ولهذا يؤكد واربرتون معلقا على النتائج التي توصل إليها وايزمان (1964) حول العلاقة الايجابية بين متغيرات البيئة الاجتماعية والذكاء والتحصيل قائلًا: إن عوامل البيئة الثقافية لها وزن في تكوين القدرات التي تقيسها اختبارات الذكاء بدرجة أكبر من وزن إمكانية الوراثة"⁴

التفوق الدراسي (الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)

"ومن خلال الدراسة التي أجراها العلمين جيتزلز و جاكسون(1962) تبين أن آباء المتفوقين من الأذكىاء يتميزون بثقافة واسعة وأن أكثرهم يعمل في وظائف تعليمية أكاديمية وأن لدى أسرهم مكتبات خاصة"⁵

مما لا شك فيه أن المستوى التعليمي والثقافي للوالدين له أثر بالغ على التفوق الدراسي للأبناء، فالبيئة الأسرية التي تتميز بمستوى ثقافي مرتفع، ومستوى علمي ومعرفي كبير، ترسخ في شخصية الأبناء حب المعرفة والعلم وبالتالي الاتجاه نحو النشاط الدراسي المتواصل ومن ثم التحصيل الدراسي المرتفع الذي يؤدي في النهاية إلى التوقف الدراسي.

أما المستوى التعليمي المنخفض للوالدين له نتائج متغايرة ففي بعض الحالات يكون المستوى التعليمي المنخفض للوالدين محرض للأبناء من أجل تعويض النقص وذلك عن طريق زيادة التحصيل والمواصلة على الدراسة وفي حالات أخرى نجد أن المستوى التعليمي المنخفض للوالدين يؤدي إلى نتائج سلبية في مجال التحصيل الدراسي وقد يؤدي إلى التخلف الدراسي وذلك لأن للآباء سلوك سلبي نحو أبناءهم في مجال التعلم وهذا ما ينتج عن التخلف الدراسي أو الرسوب في حالات أخرى ومنه نستنتج أن من أهم معوقات التفوق الدراسي للطلبة هو المستوى التعليمي والثقافي المنخفض للوالدين.

"ويذهب كل من (قطامي و صبحي)(1998) مع ما ذهب إليه (شيفر SCHEAFER)1970، من أن آباء وأمهات الإناث المتفوقات في سن المراهقة كانوا على درجة جيدة من الثقافة، وأن غالبية أمهات الإناث المتفوقات يعملن خارج المنزل كما تبين أن كل من الوالدين لديه اهتمامات ثقافية وأنشطة عقلية أكثر من الاهتمام بالتنظيمات الاجتماعية وأن آباء وأمهاتهن يقرؤون بمعدل أكثر من المتوسط ولديهم هوايات ابتكارية".⁶

"وحول المحيط الفكري لأسر المتفوقين يذكر كل من بندارفيس وهاولي(1990) أنه غالبا ما يتميز بالنشاط العقلي كالقراءة والكتابة والاستماع إلى الموسيقى، وزيارة المتاحف والمكتبات وحضور مسرحيات وأنه غالبا ما تكون القراءة والكتابة جزء من عملية الاستجمام".⁷

فالمناخ الثقافي الأسري عند الطلبة المتفوقين ثري جدا بمختلف النشاطات الثقافية، التي يمارسها الآباء كالقراءة والمطالعة والذهاب إلى قاعات الانترنت والاستماع إلى الموسيقى وحضور المسرح ومشاهدة البرامج التليفزيونية المختلفة ومتابعة البحوث

الأستاذ : سحوان عطاء الله

والدراسات على جهاز الإعلام الآلي في البيت، كل ذلك تنعكس آثار التربية على الآباء المتمدرسين.

"المتفوق يعيش في أسرة تتسم بالتسامح الوالدي، و التدعيم الوجداني فهي تتعامل مع أفرادها بمودة ومرونة واحترام متبادل وتعمل على تهدئة البيئة المناسبة لاستثارة الجوانب العقلية وصقل الجوانب الاجتماعية وكل ما يتعلق بالأبعاد الشخصية كما تحرص على ترفيه أفرادها بالرحلات، واقتناء الكتب والمجلات وتوفير الأفعال المختلفة وتتيح الفرصة للمناقشات، وإبداء وجهات النظر، وتشجيع الاستقلالية والاعتماد على النفس"⁸.

وعليه فطرق التفاعل الأسري مع الأبناء لها الأثر على التحصيل العلمي والدراسي للطالب، فالأسرة التي تكفل لأبنائها أن ينشئوا في ظل الاستقلالية وتحمل المسؤولية والمشاركة في اجتماعات الأسرة وإبداء الرأي تتكون لديه قدرات كبيرة في مجال الاعتماد على الذات من أجل تحقيق النجاحات المنوطة به وعلى رأسها النجاح المدرسي وتحقيق التفوق الدراسي.

كما تدل مختلف الأبحاث التي أجريت في هذا المجال أن آباء التلاميذ المتفوقين يتميزون بتقديرهم العالي للسمات الاستقلالية والكفاءة والإنجاز، وبصفة عامة كما يتميزون بكونهم ديمقراطيين ومشجعين للتفاعل الإيجابي المبني على الأخذ والرد مع أبنائهم.

ومن الدراسات التي تمت حول علاقة العوامل الأسرية بالتفوق الدراسي دراسة(جيتزاس و جاكسون 1962) ودراسة(سبيرنجر 1962) ودراسة(داتا وبارلوف 1967)، هذه الدراسات بينت أن آباء التلاميذ المتفوقين كانوا حريصين على تشكيل سلوك أبنائهم وعلى نجاحهم المدرسي، كما كانوا يركزون على الاجتهاد والثقافة، ويثيرون في أبنائهم روح الابتكار والمثابرة والانفتاح على الخبرات الجديدة، كما أن آباء التلاميذ المتفوقين من النموذج المتسامح مما يساعد الأبناء على التعبير عن مشاعرهم بصراحة، كما آباء الطلبة ذوي التحصيل الدراسي المرتفع يعاملون أبنائهم معاملة تتسم بالاستقلالية وعدم التسلط⁹.

"وتوصل باحثون آخرون إلى أن آباء التلاميذ الأكثر تحصيليا كانوا الأكثر اهتماما والأكثر تفهما كما كانوا الأكثر تقبلا لأبنائهم، وفوق هذا وذاك لم يكونوا يبخلون

التفوق الدراسي (الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)

بالتشجيع وإبداء علامات الاستحسان وآيات المديح كلما دعا الأمر إلى ذلك وبالجمله فقد كانوا يعملون على جعل التحصيل الدراسي عملية ممتعة وشيقة¹⁰.

وهذا يشير إلى أن الموقف الايجابي للوالدين مع أبنائهم له دور كبير في التفوق الدراسي وذلك عن طريق التشجيع الدائم لهم بمختلف الوسائل المعنوية والمادية حتى تصبح عملية المراجعة والمذاكرة عندهم ممارسة يومية، إضافة إلى أن مشاركة الآباء أبنائهم المراجعة والاستذكار في البيت يساعد على التحصيل الدراسي الجيد للأبناء.

" إن أسر التلاميذ المتفوقين كانت أميل للقيام بالأشياء جماعيا وأحرص على التشاور، فيما بينها وعلى إشراك أطفالها في اتخاذ القرارات العائلية، كما كانت أميل إلى إبداء علامات التقبل الأبوي والثقافة والتفائل، وأبعد ما تكون عن المراقبة المبالغ فيها للطفل، وعن النظام الشديد القساوة وعلى النقيض من ذلك تماما كانت أسر المتخلفين دراسيا، أي أن التضييق المبالغ فيه على الطفل والعقاب العشوائي لم يكن سوى نمطين فقط من بين الأنماط السلبية التي تتصف بها هذه الأسر¹¹.

2/ المدرسة:

دور المدرسة دور حيوي بالنسبة لتشجيع المتفوقين والتعرف عليهم، والتشجيع لا يكون بالجوائز المادية فحسب، بل أيضا بالحوافز التقديرية، فشاهدة تقدير أو ثناء ومديح وإطراء أو تقبل من المعلمين، وإدارة المدرسة لتلميذ له أثر كبير في بث الشعور بالثقة أكثر من أي تشجيع مادي، وهذا لا يعني أن التشجيع المادي غير ذي أهمية أو غير ذي قيمة، بل معناه أن المدرسة يتعين أن تتخذ وسائل متعددة وأساليب متنوعة في تشجيع المتفوقين من تلاميذها وطلبها، ككتابة أسماءهم في لوحات الشرف والإعلان عنهم ونشر صورهم في المجلات، والتحدث عنهم في الإذاعة المدرسية، وإرسال شهادات التقدير لهم، ومنحهم الجوائز المالية واختيارهم لتمثيل المدرسة في المناسبات المختلفة.

"إن البيئة المدرسية الفقيرة لا تساعد على تنمية المواهب والإبداع بسبب عدم وجود الخبرات اللازمة لذلك من مصادر تعليمية وتربوية أما البيئة المدرسية الغنية المشبعة فهي الأقدر على إشباع مختلف حاجات الطلبة لذلك فهي تعتبر الجو المناسب والمناخ الخصب لتنمية قدراتهم واستعداداتهم وأعمالهم الإبداعية¹².

" تأثير المدرسة على تحصيل التلاميذ أقل بكثير من ذلك التأثير الممارس من قبل البيت أو الأسرة¹³، كما أن المدرس له دور كبير في مجال المردود المدرسي.

الأستاذ : سحوان عطاء الله

تأثير الأسرة على التحصيل الدراسي للتلاميذ أكثر من تأثير المدرسة ولكن هذا لا يلغي دور المدرسة في مجال المردود المدرسي، وأكثر من يؤثر في التلاميذ والطلبة هم المدرسون لأنهم في اتصال مباشر معهم، فالمدرس يؤثر بسلوكياته الايجابية وقدرته الأكاديمية وطريقة تدريسه، فكلنا كان الأستاذ ممتلكا للخصائص الثلاث السابق ذكرها كلما كان التحصيل الدراسي لتلاميذه أكثر، وكلما كان الأستاذ فاقدا للخصائص السابق ذكرها، كان تحصيله أقل، لقد ظهرت بحوث عديدة أن ما يميل إلى التركيز على قيمته الطلبة يتمثل بالدرجة الأولى في سلوك الأستاذ المدرس أكثر مما يتمثل في طريقة تدريسه أو قدرته الأكاديمية.¹⁴

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الثانية التي تتولى تنشئة التلاميذ وتربيتهم بصورة منهجية، لذا فإن لها دورا بارزا في رعاية التفوق الدراسي أو إخماد جدوته.

" تعد البيئة المدرسية الغنية بالمصادر التعلم وفرص اكتشاف ما لدى الطلب من استعدادات واهتمامات بمثابة البنية التحتية لبرامج المدرسة التي تهدف إلى تنمية التفكير والإبداع، لهذا يبدو من الصعب أن نتوقع من المدرسة الفقيرة بمصادرها التعليمية أن تكون قادرة على توفير بيئة إيجابية لإثارة استعدادات الطلبة وتفعيل قدراتهم لتبلغ مستويات من الأداء، الذي قد يصل حدود الإبداع بالمعايير المدرسية أو الوطنية"¹⁵

3/ الوسط الاجتماعي:

إن البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد ويتفاعل مع أفرادها تفاعلا اجتماعيا طبيعيا يترتب من خلاله المنظومة الأخلاقية و المنظومة الثقافية، فيتشكل الفرد تشكيلا اجتماعيا وفق خصائص هذا المجتمع أو ذلك عن طرق التنشئة الاجتماعية، ضمن المؤسسات الماكروسوسولوجية (مؤسسة الدولة والأمة)، فإذا كانت الأمة (المجتمع) متفوقة حضاريا فإن الفرد سيكون متفوقا حضاريا، وإذا كانت الأمة متخلفة حضاريا فإن الفرد سيكون لا محال متخلفا حضاريا.

" إذا ما وجد اختلاف بين سكان وآخرين أو فروقات فإنه الاختلاف الذي يفرق بين الشخص ذي التغذية الجيدة وبين الشخص ذي التغذية السيئة، المغلوب على أمره في أكثر الأحيان.والذي يشعر بأن كل عام التقاليد المادية منها والمعنوية يتدعى وينهار، ولا ننسى أن التفاوت الكبير في الثقافة الشعبية والمستويات الحضارية للأمم والشعوب له تأثير كبير على نمو الإدراك والملكات للأفراد الذين يعيشون ضمن هذا المجتمع أو ذاك،

التفوق الدراسي (الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)

إنني أفكر بأن أسلوب وثقافة الشعوب تملك نقاط قوة أكثر مما تملك أسلوب وثقافة،
إنني لا أتكلم هنا في الناحية الأخلاقية أو الجمالية أو السياسية وإنما أتكلم من الناحية
الفكرية"¹⁶.

علاوة على تأثير مؤسسة الدولة والأمة على الفرد من ناحية النمو الفكري والمعرفي
لديه، فإن جماعة الرفاق والأصدقاء والأقارب يعتبرون وسطا اجتماعيا آخر يؤثر على
الفرد سلبا وإيجابا، " ومن الواقع المؤلم أيضا الذي يشل الطموح تأثير الأقارب
والأصدقاء إذ نرى بعض الأفراد يتركون كل آمالهم وكل ما كانوا يفكرون فيه ويخططون
له ويفضلون ما ينصح به الأقارب لاعتقادهم أنه أصحاب مشورة أو خبرة في الحياة وإنه
ينوون البقاء أو يذهبون حيث يكون رفاقهم وفي كلتا الحالتين أنه يفتقر إلى النضج المبني
لميوله وقدراته"¹⁷

ثانيا: مقاييس التفوق الدراسي

1/مقاييس الذكاء:

يتفق أغلب علماء التربية على أن الذكاء هو أحد المقاييس الأساسية لقياس التفوق
الدراسي إلى أنهم يختلفون لتحديد درجة الذكاء التي تميز بها التفوق الدراسي، ويتم
قياس الذكاء بطريقتين هما:

1-1.مقاييس الذكاء الفردية

"تعد اختبارات الذكاء الفردية من الأدوات التقليدية ومن أكثر الأساليب الموضوعية
التي تستخدم في الكشف والتعرف على الأطفال المتفوقين في سن ما قبل المدرسة
وسنوات الدراسة الابتدائية، كما أنها تعد من أكثر الأساليب دقة وفعالية في التعرف
عليهم، لاسيما الذين يعانون من صعوبات تعلم أو قدرات لفظية متدنية، أو اضطرابات
سلوكية أو إعاقة بصرية أو سمعية حركية، إلا أنها تحتاج إلى شخص مدرب على تطبيق
الاختبارات وتصحيحها وتفسير نتائجها"¹⁸.

1-2.مقاييس الذكاء الجمعية(الجماعية):

ظهرت الحاجة إلى الذكاء الجمعية في أعقاب الحرب العالمية الأولى وذلك لقياس ذكاء
الجنود وتوزيعهم على الفرق المختلفة تبعا لمستويات ذكاءهم وهي نوعان:
-اختبار ألفا: ويستخدم مع الذين يجيدون اللغة الإنجليزية قراءة وكتابة، ويشمل
على عناصر تتطلب حل مسائل حسابية واستخدام المعلومات العامة والتفكير.

الأستاذ : سحوان عطاء الله

-اختبار بيتا؛ ويستخدم مع الذين يجيدون اللغة الإنجليزية وتتضمن عناصر تحليل بعض الصور ومعالجة الأشكال الهندسية ونحو ذلك.¹⁹

2/ مقياس الاستعداد المدرسي والأكاديمي:

"يعرف اختبار الاستعداد المدرسي والأكاديمي عادة بأنه وسيلة لقياس إمكانية الطالب المفحوص، والقاعدة العامة في تمييز اختبارات الاستعداد عن اختبارات التحصيل هي أن محتوى الاختبار كلما ارتبط بالتعلم المدرسي في موضوع معين، كلما كان أقرب لاختبار التحصيل، وكلما ابتعد عن محتوى المناهج المدرسية في موضوع محدد كلما كان أقرب اختبارات الاستعداد الأكاديمي"²⁰.

3/ مقياس التحصيل الدراسي:

يعتبر مقياس التحصيل الدراسي من أهم المقاييس المعتمدة في قياس التفوق الدراسي، وعلى هذا الأساس اعتمد كطريقة علمية لتحديد الطلبة المتفوقين دراسياً، ومقياس التحصيل الدراسي هو نوع من الاختبارات يحاول قياس نتائج التحصيل الدراسي للطلبة بعد دراستهم لبرنامج معين، وهذه الاختبارات تمكننا من معرفة الطلبة المتفوقين.

"وتتميز اختبارات التحصيل الدراسي العامة بأنها تعطي صورة واضحة عن مجالات القوة والضعف للمفحوص في الموضوعات الدراسية المختلفة، ويمكن استخدامها كأحد محكات الكشف عن المتفوقين أكاديمياً لإلحاقهم ببرامج خاصة في بدء المرحلة الدراسية التي تعقب المرحلة التي يغطيها الاختبار، وهكذا يمكن القول أننا نستخدم اختبارات التحصيل ومستوى تحصيل الطالب المرتفع كطريقة من بين عدة طرق للكشف عن المتفوقين دراسياً في المدرسة".²¹

كما يعرف السيد سعيد حسني العزة هذا الاختبار بالطريقة الآتية "اختبارات التحصيل الدراسي هي اختبارات مقننة عن التحصيل الأكاديمي، وتمتاز بأنها تعطي صورة واضحة عن مجالات القوة والضعف للمفحوص في موضوعات الدراسة المختلفة، والهدف منها هو الكشف عن الطالب الموهوب أكاديمياً لإلحاقه ببرنامج خاص في بداية العام الدراسي الذي يعقب الاختبار، مثل امتحان الثانوية العامة، أو امتحان نهاية المرحلة المتوسطة في بعض الدول العربية".²²

التفوق الدراسي (الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)

".... يشير رالف كالو1980 أن الولايات المتحدة كانت أكثر بلاد العالم استخداما لمحك التحصيل الدراسي في الكشف عن المتفوقين وذلك باستخدام السجلات المدرسية لأن التحصيل يعتبر أحد المظاهر الأساسية عن النشاط العقلي الوظيفي عند الفرد. ولا شك أن درجات التلميذ في السجل المدرسي تعتبر مؤشر سهلا للكشف عن التلاميذ المتفوقين الذين سجلوا نجاحا دراسيا ممتازا كتعبير عن هذا التفوق"²³.

لا يزال محك التحصيل الدراسي الذي يعتمد على درجات التلميذ ونقاطه المسجلة في السجلات المدرسية مقياسا أساسيا في تحديد الطلبة المتفوقين وبهذا المقياس يمكننا الكشف عن التلاميذ الذين سجلوا نجاحا دراسيا ممتازا، وبهذا المقياس مازالت كثير من الدول تعتمد عليه في ميدان التفوق الدراسي للتلاميذ.

"ليس هناك مبالغة في القول بأن مجال التحصيل المدرسي يعتبر من أهم المجالات التي تعبر عن التفوق العقلي للطفل، خاصة إذا كنا بصدد دراسة التفوق العقلي بين تلاميذ المدارس، بل أن هناك من الباحثين من استخدم التحصيل الدراسي كمحك بديل في دراساته في مجال التفوق العقلي"²⁴.

"ولا بد أن نشير إلى أن اعتماد محك التحصيل يقتضي استخدام اختبارات تحصيل مقننة أو الاعتماد على السجل المدرسي للطالب، ولكن لابد أن يثبت هذا السجل تفوق الطالب المستمر في التحصيل، لأن هذه الاستمرارية بحد ذاتها هي المؤشر أو المنبئ الأساسي الذي يدل على تفوق الطالب عقليا باعتبار أن التحصيل الدراسي أحد المظاهر الأساسية التي تربط بالنشاط العقلي الوظيفي عند الفرد"²⁵.

"وتهدف اختبارات التحصيل الدراسي إلى قياس أو تقييم التحصيل المعرفي المرتبط بتعلم سابق للفحوص، وتعد اختبارات التحصيل الدراسي بصورة جمعية، وقد تكون شاملة لمناهج مرحلة دراسية معينة في كل المواد، أو مقتصرة على مادة دراسية معينة، وقد تكون هذه الاختبارات مبنية من قبل معلم ويطبقها على مستوى الصفوف التي يعلمها، وقد تكون مبنية من قبل خبراء وتطبق على مستوى وطني"²⁶.

4/ مقياس الشخصية:

يعتبر مقياس الشخصية أحد المقاييس المعتمدة في ميدان قياس التفوق الدراسي، لأن الطلبة المتفوقين لهم سمات شخصية تميزهم عن غيرهم، وعلى هذا الأساس فدراسة السمات الشخصية للطلبة، تعتبر مقياسا آخر لتمييز الطلبة المتفوقين.

الأستاذ : سحوان عطاء الله

"وهي اختبارات تسعى إلى التعرف على السمات الشخصية في دراستنا للطلاب المتفوق دراسة شاملة، ومعلومات ذات قيمة كبيرة للتوجيه في مجالي النمو الانفعالي والنمو الاجتماعي ويستفيد منها الطلبة في أثناء حياتهم الدراسية من خلال المساعدة التي يقدمها لهم المدرس أو الموجه"²⁷.

ثالثا: التفوق الدراسي ظاهرة تربوية.

ما فتى النسق التعليمي في إطار تفاعلاته الطبيعية مع بقية الأنساق الاجتماعية وفي تفعله الدائم مع مدخلات المحيط الاجتماعي يفرز لنا كثيرا من المخرجات المتباينة كالتسرب المدرسي، الرسوب، التخلف الدراسي، التلاميذ ذوي الحاجات الخاصة، العنف المدرسي، التفوق الدراسي هذه الظاهرة الاجتماعية الأخيرة صارت موضع اهتمام من طرف الباحثين في علوم التربية وعلم الاجتماع، ثم انتقلت إلى دائرة الاهتمام الرسمية فأصبحت موضع اهتمام حقيقي من طرف كثير من دول العالم وخصصت لها أبحاث ودراسات ومناهج ومؤطرين بل وفي أحيان أخرى مدارس خاصة ترعى شؤونهم وتحيطهم برعاية تربوية متميزة بغية الاستفادة من هذه الثروة البشرية التي تعتبر الثروة الحقيقية في هذا العصر الذي تسود فيه الحضارة الرقمية التي تعتمد في ارتكازها الأساسي على القوة المعرفية وتدفق المعلومات الكبير والذكاء الاصطناعي، والذكاء الطبيعي وبنوك المعلومات وشبكات المعلومات -الانترنت- وهذا ما جعل وزير التربية الأمريكي يصرح أمام إدارات التربية ويقول (إن ما يلزمنا هو إعادة النظر في تربيتنا من أجل أن نستقل بعنقريّة المعرفة وصناعتها والهيمنة على طرائقها، هذا هو واجبنا الأقدس).

وعلى هذا الأساس سنتعرض في هذا المبحث للاهتمامات التي توليها كثير من الدول لفئة الطلبة المتفوقين باعتبارهم شريحة خاصة تعتبر في طليعة الشرائح التي يمكن الاستفادة منها كطاقة دائمة ومتجددة لا ينضب معينها في مجال التنمية البشرية التي تنعكس أثارها على التنمية الاقتصادية والتقنية، وهذا ما يساهم في النهضة والإقلاع الحضاري لدول التي تستثمر في مجال التنمية البشرية.

ولا تزال الدراسات الاجتماعية والتربوية تتابع باهتمام موضوع التفوق الدراسي كظاهرة تربوية يفرزها النسق التعليمي " وكثير هي الأسباب التي ساهمت بشكل أو بآخر في تزايد الاهتمام بتربية المتفوقين وتعليمهم منذ بداية القرن العشرين وأهمها: تقدم حركة القياس العقلي، سباق التسلح بين العملاقين خال فترة ما بين الحرب العالمية

التفوق الدراسي (الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)

الثانية وانهيار الاتحاد السوفيتي وحلف أرسوا في بداية التسعينات، الانفجار السكاني والمعرفي، الجمعيات المهنية والمؤتمرات العلمية والمجهودات الفردية والطلائعية²⁸.

1/ تربية المتفوقين في التجارب العالمية.

لقد ظهرت كثير من التجارب العالمية في مجال الاهتمام بفئة الطلبة المتفوقين وهذا الاهتمام يختلف من دولة إلى أخرى حسب خصائص كل مجتمع، ففي الدول الأوروبية مثلا يتم انتقاء هذه الفئة الاجتماعية (الطلبة المتفوقين) عن طريق اختبارات ولذلك نجد أن في المجتمعات الأوروبية أن مشكلة المتفوقين حلت بشكل جزئي عن طريق قبولهم في أسام خاصة ضمن مدرس التعليم الثانوي العام الذي يشمل جميع الطلبة بمختلف مستويات التحصيل غير المتجانس، لكن بقيت معظم الأنظمة التربوية الأوروبية تواجه مشكلة المتفوقين من جديد لأنهم أصبحوا بحاجة إلى خدمات متخصصة في ظل النظام التربوي الشامل، أما في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي فقد أوجدوا حلولاً لهذه الفئة الاجتماعية وفقاً لأوضاعهم التربوية واستراتيجياتهم التنموية.

1-1. في السويد²⁹:

لقد أشارت كل من إيكedal وإيكبلاد سنة 1975 إلى الهدف الأساسي للمخطط التربوي في السويد هو توفير التعليم لكل فرد سويدي وتنمية شخصيته، بما يتوافق مع التربية الحديثة على أن يتم كل ذلك في إطار تنسيق شامل مع الأسرة، وكل ذلك يهدف إلى تربية الطفل سلوكياً واجتماعياً وبيولوجياً وعقلياً، وعليه لم يكن المخطط التربوي يعطي برامج خاصة للمتفوقين، والمخطط التربوي في السويد يهدف إلى ثلاث أهداف أساسية:

-الهدف الأول: قائم على نظريات أريكسون التي تقوم على أساس أن التربية الناجحة هي التي تعطي للطفل صورة إيجابية عن ذاته، وتحقيق له الثقة بنفسه والقدرة على المبادرة.

-الهدف الثاني: تنمية مهارات الاتصال بين التلاميذ، والانفتاح على الآخرين والتعاون معهم، وهذا باستعمال مختلف الوسائل التربوية.

-الهدف الثالث: تنمية القدرات العقلية للأطفال، وهذا يقتضي أن تكون البيئة الاجتماعية الأسرية غنية بكافة المثيرات العلمية (كتب، أدوات و مواد تعليمية، جهاز

الأستاذ : سحوان عطاء الله

إعلام آلي...)، وتؤكد كل من إيكيدال وإيكبلاد أن السويد أعطت اهتماما كبيرا للتلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة، ولكنها لم تعطي نفس الاهتمام للتلاميذ المتفوقين.

1-2 في فرنسا³⁰:

يمكن للأطفال المتفوقين أن ينضموا إلى رياض الأطفال قبل السن القانونية بعد إجراء اختبارات تسمح بذلك وبعد موافقة مدير المدرسة الابتدائية، المعلمون في المدارس الابتدائية لا يعطون اهتماما كبير لفئة التلاميذ المتفوقين لأنه لا توجد قوانين تلزمهم بذلك، إلا أن التلاميذ الذين يحققون تفوقا دراسيا ملحوظا يمكنهم أن يقفزوا سنة دراسية واحدة خلال المرحلة الابتدائية التي تمتد خمس سنوات، لكن على وجه العموم فإن النظام التعليمي الفرنسي يعتمد على نظام تحقيق التعليم الشامل، وهذا النظام لا يعطي أهمية كبيرة لمسألة تربية المتفوقين، إلا أنه تأسست جمعية وطنية للأطفال المتفوقين عام 1971، وبدأت وزارة التربية الفرنسية تضع مخططات تربوية تتعلق بحياة التلاميذ المتفوقين في المدرسة.

1-3.الاتحاد السوفيتي³¹:

النظام التعليمي في الاتحاد السوفيتي، له تقاليد قديمة في ميدان الاهتمام بفئة الطلبة المتفوقين، فالنظام التعليمي في السوفيتي قائم على مبدأ نظام 8 سنوات متصلة من التعليم، فكل من يظهر تفوقا في الرياضيات والفيزياء يحول مباشرة إلى إحدى المدارس الأربعة المتفوقين، وهذه المدارس الأربعة توجد في كبرى المدن السوفيتية، والسن الذي تبدأ فيه العناية الخاصة بالتلاميذ المتفوقين و سن 15 سنة، وفي المدن الكبرى ينظم اولمبياد أكاديمي تسلم فيه الجوائز للتلاميذ المتفوقين في مرحلة 8 سنوات وهذا بعد خضوعهم لمقاييس التفوق الدراسي ثم يكملون دراستهم في إحدى المدارس الأربعة الخاصة بالمتفوقين.

1-4.الولايات المتحدة الأمريكية:

الطرق التربوية والتعليمية التي يستعملها النظام التربوي الأمريكي كثيرة ومتعددة في مجال رعاية الطلبة المتفوقين، ويمكن تصنيف الأساليب المعتمد في الولايات المتحدة الأمريكية في ثلاث أنواع:

-التجميع: ويتكون على العموم من ثلاثة أنواع:

أ-تجميع التلاميذ المتفوقين في مدارس خاصة بهم، وهو ما يسمى بالتجميع المتجانس، أشهرها مدرسة (هنتر) الابتدائية، ومدرسة (نيويورك) للمتفوقين.

التفوق الدراسي (الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)

ب-فصل مؤقت لبعض الوقت أثناء ساعات الدوام المدرسي، أو خارجها (الصفوف المرحلة).

ج-تجميع متجانس للطلبة المتفوقين داخل الصف العادي (الصفوف المستقلة بذاتها).³²
-التسريع:ويقتضي هذا الأسلوب تخطي بعض الصفوف الدراسية واختصار سنوات الدراسة، وهو أسلوب سهل من الناحية الإدارية، كما أنه يضمن الاستجابة للحاجات العقلية والمعرفية للتلاميذ المتفوقين.³³

-الإثراء: ويتم الإثراء عن الطريق التعمق في البرامج العادية المقررة للطلبة العاديين، أو زيادة المواد الدراسية التي تتلاءم وحاجات التلاميذ المتفوقين، أو وضع امتحانات صعبة تخص الطلبة المتفوقين، كما يجب أن يتوفر البرنامج الإثرائي على خبرات تحقق التداخل بين المجالات الدراسية المختلفة، كما يجب أن يحتوي البرنامج الإثرائي على النشاطات الدراسية الحرة بهدف توسيع دائرة المعرفة ومهارات البحث.³⁴
5-1. بريطانيا:

تعتمد بريطانيا في مخططها التربوي على التجميع المسمى الصفوف المرحلة، وذلك عن طريق فصل مؤقت للتلاميذ المتفوقين عن زملائهم العاديين لمدة لا تتجاوز اليوم في كل أسبوع. وتطبق هذه الخطة التربوية في إيزيكس (Essxe) وفي غرب سوسكس (West sussex) وفي سومرست (Somerset)، ويمارس التلاميذ في خلال فترات الدراسة الإضافية نشاطات مختلفة ترتبط بميولاتهم وغير متوفرة في الدراسة العادية.³⁵
2/ تربية المتفوقين في التجارب العربية.³⁶

1-2. الأردن:(مدرسو اليوبيل الثانوية).

لقد وضع الملك الحسين مشروع هذه المدرسة سنة 1977، وبقيت قيد الدراسة والتحضير والهيئة الوسائل والأجهزة والإطارات، وخرجت إلى حيز التنفيذ سنة 1993 وهي ثانوية مستقلة مختلطة مدة الدراسة فيها أربع سنوات وتقدم منحا دراسية للطلبة الموهوبين والمتفوقين واستقبلت اليوبيل الفوج الأول سنة 1993 وعددهم 87 طالب وطالبة في مستوى الصف التاسع الأساسي وكلهم من فئة الطلبة المتفوقين، وفي مطلع العام الدراسي (1994-1995) استقبلت الفوج الثاني وعددهم 197 طالب وطالبة ومن مميزات هذه المدرسة أنها تستطيع توفير السكن وخدمات الإقامة للطلبة المنسبين إليها، كما أن هذه المدرسة مجهزة بأحدث مختبرات الحاسوب والعلوم واللغات الأجنبية، وفيها مراكز لتدريب المعلمين، بالإضافة إلى المكتبة ومركز الفنون والموسيقى

الأستاذ : سحوان عطاء الله

وكافة التجييزات الرياضية ولا يمكن التسجيل في هذه المدرسة إلا بعد اجتياز ثلاث امتحانات أساسية في مجال التحصيل الدراسي والسمات السلوكية الإبداعية والقدرة العقلية العامة.

2-2. جمهورية مصر العربية: (مدرسة المتفوقين بعين شمس).

وتم إنشاؤها سنة (1955-1956) وهي مدرسة ثانوية تهتم برعاية المتفوقين وتنمية قدراتهم وتأطيرهم تأطيرا خاصا بغرض الاستفادة من قدراتهم العقلية الغالية وتسخيرها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المصري.

ويهدف هذا المشروع التربوي الخاص بالمتفوقين إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- اكتشاف الطلبة المتفوقين، والاستفادة من إمكانياتهم وتطوير قدراتهم علميا ونفسيا واجتماعيا.

- توفير الإمكانيات المعنوية والمادية، وتصميم البرامج والمناهج بما يتلاءم وخصائص هذه الفئة المتميزة، وتشجيع الطلبة المتفوقين لبذل المزيد من الجهد العقلي والتفكير الإبداعي.

- استشارة روح التنافس الايجابي بين الطلبة المتفوقين.

- المساهمة في تحضير جيل من العلماء في مختلف المجالات.

ويتم اختيار الطلبة المتمدرسين في هذه المدرسة وفق اختبارات تتعلق بالتحصيل الدراسي والسمات السلوكية والقدرات العقلية العامة ويسير هذا المشروع وفقا للإجراءات التالية:

- الإدارة التي تشرف على هذا المشروع مكونة من أفضل الكفاءات والإطارات في مجال التربية والتعليم.

- تحتوي هذه الثانوية على مختلف الأنشطة التربوية المتنوعة (محاضرات علمية، ملاعب رياضية، أنواع المخابر العلمية، توفر الرعاية الاجتماعية والنفسية للطلبة).

- متابعة الطلبة من خلال سجلات متابعتهم من ناحية المواظبة والسلوكيات والأنشطة.

- متابعة الطلبة في مجال التحصيل الدراسي في كل فصل.

التفوق الدراسي (الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)

3-2. الكويت:

انطلق مشروع رعاية المتفوقين في العام الدراسي 1986-1987 بعد ظهور قرار وزاري رقم 86/135 بتاريخ 1986/05/26، وبناء على هذا القرار أنشأت لجنة خاصة في وزارة التربية تتابع هذا المشروع تحت إشراف وزير التربية. وأهم الأهداف التي حققها هذا المشروع منذ انطلاقه:

3-2-1. الكشف السنوي عن التلاميذ المتفوقين في المرحلة الابتدائية عن طريق:
* كشف قائمة الطلبة المتفوقين.

* إجراء اختبارات تكشف عن الطلبة المتفوقين.

3-2-2. المتابعة الدائمة للتلاميذ المتفوقين في المرحلة الابتدائية والمتوسطة عن طريق:
* التحصيل الدراسي.

* الأنشطة الإثرائية في اللغة العربية والرياضيات.

3-2-3. ووضعت وزارة التربية في الموسم الدراسي (1989-1990) تجربة البرنامج الإثرائي الخاص بالتلاميذ المتفوقين، حيث افتتح مركزان أحدهما خاص بالبنين والثاني خاص بالبنات، وكانت الدراسة فيهما تتم مرتين في الأسبوع وقد اشترك في هذين المركزين عينات من التلاميذ المتفوقين في المناطق التعليمية الخمس وانطلقت الدراسة فيهما في الصف الثاني من العام الدراسي واستمرت شهرين.

3-2-4. أجريت دراسة تقييمية لهذا العمل، حيث أسفر عن نتيجة مفادها أن برامج الإثراء التي يتلقاها التلاميذ المتفوقون تزيد في مستوى التحصيل الدراسي وتنمية القدرات العقلية للتلميذ، كما اقترح أولياء التلاميذ إنشاء مدارس خاصة بالتلاميذ المتفوقين.

خاتمة:

التفوق الدراسي ظاهرة تربوية يفرزها النسق التعليمي، ولها عوامل متعددة تساهم بشكل أو بآخر في إفراز منها العوامل الداخلية (الصحة، الوراثة) والعوامل الخارجية (المدرسة، الأسرة، الوسط الاجتماعي) والتفوق الدراسي له جملة من المقاييس التي تمكننا من قياسه:

- مقياس الاستعداد المدرسي والأكاديمي.

- مقياس التحصيل الدراسي.

- مقياس الشخصية.

الأستاذ : سحوان عطاء الله

والاهتمام بالطلبة المتفوقين كفاءة اجتماعية متميزة وضع موضع التجريب الميداني في كثر من الدول منها الدول الأجنبية (السويد، فرنسا، الاتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا) ومنها الدول العربية (الأردن، مصر، الكويت).

التفوق الدراسي (الأبعاد الاجتماعية و النفسية و التربوية)

الهوامش:

- 1- محمد خالد الطحان، تربية المتفوقين عقليا في البلاد العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1982. ص 55.
- 2- محمد خالد الطحان، المرجع السابق، ص 132 .
- 3- عبد الرحمن سيد سليمان، المتفوقون عقليا: خصائصهم اكتشافهم، تربيتهم، مشكلاتهم، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة، 2004. ص 61-62.
- 4- محمد خالد الطحان، المرجع السابق، ص 132 .
- 5- المرجع نفسه، ص 131.
- 6- عبد الرحمن سيد سليمان، المرجع نفسه، ص 55.
- 7- المرجع نفسه، ص 61.
- 8- المرجع نفسه، ص 61.
- 9- محمد خالد الطحان، المرجع السابق، ص 136.
- 10- محمد مولاي بودخيلي، نطق التحفيز المختلفة ولاقتها بالتحصيل المدرسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 380.397.
- 11- نفس المرجع، ص 380.
- 12- سعيد حسن العزة، تربية الموهوبين والمتفوقين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص 207.
- 13- محمد مولاي بودخيلي، المرجع السابق، ص 395..
- 14- conger ,gg and peterson,A.C Adolescence and youth, Harper and 14 York, 1984, p396. row,New
- 14- فتحي عبد الرحمن جروان، أساليب الكشف عن الموهوبين، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، 2002.
- 15- بول باران و وايف لا كوست، الاقتصاد السياسي للتخلف وأسباب التخلف الأساسية، دار الطليعة 16- للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص 42.
- 17- وديع جليل شكور، تأثير الأهل في مستقبل أبنائهم على الصعيد توجه الدراسي والمهني، المعارف للطباعة، بيروت، 1997، ص 242.
- 18- عبد الرحمن سيد سليمان، المرجع نفسه، ص 161.
- 19- فتحي عبد الرحمن جروان، المرجع السابق، ص 113.

الأستاذ : سحوان عطاء الله

- 20- عبد الرحمن سيد سليمان، المرجع نفسه، ص187.
- 21- نفس المرجع، ص188 .
- 22- سعيد حسن العزة، تربية الموهوبين والمتفوقين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص95.
- 23- عبد الرحمن سيد سليمان، المرجع نفسه، ص130 .
- 24- نفس المرجع، ص130.
- 25- خالد محمد الطحان، مرجع السابق، ص41.
- 26- فتحي عبد الرحمن جروان، المرجع السابق، ص116.
- 27- نفس المرجع، ص189.
- 28- فتحي عبد الرحمن جروان، مرجع سابق، ص16.
- 29- خالد محمد الطحان، مرجع السابق، ص65.
- 30- المرجع نفسه، ص65.
- 31- المرجع نفسه، ص65.
- 32- فتحي عبد الرحمن جروان، المرجع السابق، ص191.194.
- 33- عبد الرحمن سيد سليمان، المرجع السابق، ص284.285.
- 34- سعيد حسن العزة، المرجع السابق، ص123.128.
- 35- محمد خالد الطحان، المرجع السابق، ص76.
- 36- سعيد حسن العزة، المرجع السابق، ص283.370.